

## مفاوضات ساخنة في فيينا وحرب باردة في العالم الشرق الأوسط 2022: حروب أم تسويات؟

دخلت منطقة الشرق الأوسط منذ سنة في مدار المرحلة الاميركية الانتقالية بعد وصول الرئيس جو بايدن الى البيت الابيض ومغادرة سلفه الرئيس دونالد ترامب الذي معه انكفأت وانحسرت ملفات وقضايا كثيرة، من صفقة القرن وخطة السلام الاميركية، الى اتفاقات التطبيع بين اسرائيل ودول خليجية، مروراً بالمواجهة الايرانية - الاميركية التي تحولت الى مفاوضات مفتوحة

في ضوء المفاوضات ونتائجها يتحدد مستقبل الأوضاع في المنطقة الحافلة بالتحويلات المتحركة على ايقاع صراع المصالح والارادات الاقليمية والدولية في المنطقة، والحرب الباردة الجديدة في العالم.

يعيش العالم اليوم بداية صراعات بين الولايات المتحدة وحلفائها الاوروبيين من جهة، وروسيا والصين من جهة اخرى، وهي كناية عن حرب باردة جديدة ما زالت في بدايتها، مسارها الرئيسية شرق اسيا، والمحيط الهادئ، واوربا الشرقية والوسطى، وقد يصبح الشرق الأوسط مسرحاً لها في المستقبل غير البعيد. من جهة اخرى، ما زالت الدول الصناعية مشغولة بازمة الكورونا وما تسببت به من تراجع اقتصادي ومشاكل اجتماعية. هذه الدول تركز على مشاكلها الداخلية وتجبر قدراتها لحلها، وتخفف من اهتماماتها بالشرق الأوسط.

اوربا في صحوة جيو سياسية. ازمات كورونا والهجرة والامن والارهاب ايقظتها من سبات عميق وضخت روحاً جديدة فيها، وعززت ثقة الاوروبيين بانفسهم وبقدرتهم على تأمين الامن الذاتي الصحي والاجتماعي والاقتصادي، ومهدت لنشوء نسخة اوربية صارمة وواثقة من نفسها على الساحة العالمية. لم تحصل هذه الصحوة الجيوسياسية في اوربا بلمح البصر. بعد احتدام المنافسة الاميركية - الصينية في عهد الرئيس دونالد ترامب، بدأت اوربا تعدل طريقة تعاملها مع عالم يتأثر بدرجة متزايدة بالمنافسة القائمة بين القوى العظمى.



الرئيس الاميركي جو بايدن.

نتيجة لذلك، راح الاتحاد الاوروبي يتناقش حول مفهوم الاستقلالية الاستراتيجية التي تدعو اوربا الى الدفاع عن سيادتها وابداء مصالحها الخاصة في معزل عن الولايات المتحدة، بدل الاتكال على الحليف الاميركي الذي زاد فظاظاً في عهد ترامب او على الصين التي تزداد عدائية سعياً وراء قيادة العالم، افتتح القادة الاوروبيون بضرورة ان يتطلعوا الى اوربا، ومن هؤلاء القادة انغيليا ميركل المستشارة الالمانية التاريخية التي تقاعدت وایمانويل ماكرون الرئيس الفرنسي الشاب الذي يواجه خطر السقوط في الانتخابات ومغادرة اليزيه بعد اشهر. لكن تغيير الوجهة الاوروبية يشكل في الوقت نفسه رداً على الصين. لطالما تعاملت اوربا مع بكين من منظور اقتصادي وكانت

تمنى ان يساهم عاملاً الانفتاح والتجارة في توجيه الصين نحو التحرر السياسي او حتى الديمقراطية. لكن اصبحت سياسة الصين ضيقة بدرجة اضافية تزامناً مع ازدهار اقتصادها. تبين ان الانفتاح خيار احادي الجانب، فزادت خيبة الامل من الممارسات التجارية الصينية غير المنصفة في اوربا، كما في الولايات المتحدة. جاء الوباء ليقلب الرأي العام الاوروبي ضد الصين نهائياً. مع مواصلة الحكومة الصينية التوسع في مشروع مبادرة الحزام والطريق على المسرح العالمي، من شأن اقتصاد البلاد، وقدراتها العسكرية الخارجية، ونفوذهما الدبلوماسي الدولي ان تتسع مجالاته سواء بسواء، حتى تتصادم مع المصالح الاميركية المتعددة عند نقاط تماس والتقاء محددة. ومع النظر

الى الحجم الهائل المنتظر والتقدم التقني الصيني الكبير على مدار السنوات العشر المقبلة، سوف تحتاج الولايات المتحدة الى بناء شبكة قوية للغاية من الحلفاء، والشركاء، والاصدقاء، من اجل توفير المساعدة في ارساء اساس التوازن في مواجهة الصعود المستمر للصين. من الواضح للجميع ان الحكومة الصينية

”  
الحرب الباردة الجديدة  
ساحتها شرق اسيا  
والمحيط الهادئ واوربا  
الشرقية والوسطى



الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

تواصل العمل من دون توقف على اعادة صياغة النظام العالمي بصورة تلحق المزيد من الاضرار بالمصالح الاميركية والاوربية على حد سواء. تمتلك القارة الاوروبية - بصفة منفردة - الامكانات السكانية، والجغرافية، والقيمية، فضلاً على الثقل الاقتصادي الكبير قبل كل شيء، والتي تعزز حاجات الولايات المتحدة في الوصول الى حالة التوازن المنشودة والموثوق منها في هذه الحرب الباردة الناشئة، واستمالة جانب اوربا صوب المدار الاميركي في ما يخص التعامل المباشر مع الصين الذي سوف يكون له ابلغ الاثر على الصعيدين العسكري والديبلوماسي، فضلاً على الصعيد الاقتصادي. اما مع روسيا، فان الصراع سيدور ويتمحور

القوى الكبرى الصاعدة (الصين وروسيا) هي الاولوية، وفي هذا الاطار تريد واشنطن التوصل الى تهدئة مع ايران وضمان عدم تصنيعها لسلح نووي، ذلك من طريق احياء الاتفاق النووي الذي انسحبت منه ادارة ترامب، وترك التوازنات في المنطقة ومكافحة الارهاب للقوى الاقليمية مع دور اميركي داعم من دون انغماس مباشر.

- عادت روسيا الى الساحة الدولية من خلال البوابة السورية، وهي ستبقى فيها لمد طويل. استراتيجيتها في المنطقة هي تحسين علاقاتها مع العالم العربي، وتثبيت قوتها في شرقي حوض البحر الابيض المتوسط وفي وسطه. اما في سوريا، فاستراتيجيتها هي الاستقرار وتثبيت نظام الرئيس بشار الاسد والتفاهم مع تركيا والتعاون مع ايران والتعاون مع اسرائيل واعادة الاعمار.

- تتمدد الصين استراتيجياً وبصبر في المنطقة عبر مشاريع اقتصادية وبنى تحتية وتكنولوجية تضمن ربط اقتصادها بدول المنطقة. لا بوادر صدام صيني - اميركي في المنطقة، انما تنافس ما زال في بداياته مع احتمال تفاقمه مستقبلاً.

اما الاتحاد الاوروبي، فانه هو مهتم بمشاريع النفط والغاز في شرق المتوسط، وهو على خصام مع تركيا في هذا المجال، وعلى توافق مع مصر، ويريد التهدئة مع ايران، والاستقرار في لبنان.

اما القوى الاقليمية (غير العربية) وتحديداً تركيا وايران واسرائيل، فتحمي مصالحها مباشرة في غياب ضوابط دولية قوية، مما يولد صراعات من جهة وتفاهمات من جهة اخرى. هذه الصراعات تدور على اراضي دول تفككت و/او ضعفت، لاسيما العراق وسوريا واليمن وليبيا ولبنان. يمكن اختصار كل ذلك على الشكل التالي:

- استراتيجياً ايران في المنطقة هي تصدير الثورة الاسلامية، وادارة حروب بالوكالة تمنع اي دولة عربية من ان تصبح خطرة عليها، ومحاربة اسرائيل، وطردها من الولايات المتحدة من المنطقة، مع علمها ان واشنطن لن تدخل في صراعات عسكرية في المنطقة. ◀

• تغيرت الرئاسة والادارة في الولايات المتحدة، وتغيرت معها السياسات الخارجية، لكن في ظل حذر وغموض. وصل الرئيس جو بايدن الى البيت الابيض لكنه لم يعط في سنته الاولى مؤشرات الرئيس القوي. حصل الانسحاب الاميركي من افغانستان، ولكن الخطوة التالية لم تحصل ولم يعرف ما اذا كان هذا الانسحاب مقدمة الى انسحابات اخرى من العراق وسوريا، ام ان واشنطن تتهيب انسحابات اخرى وخسائر اضافية.

• سقط نتنياهو في اسرائيل، لكن سقوطه لم يكن عظيماً، ومن جاء بعده، نفتالي بينيت على رأس حكومة ائتلافية هشة، مهدد بالسقوط في اي وقت.

• حصلت انتخابات في العراق، لكنها لم تكن حلاً للامنة التي يرزح تحتها منذ سنتين، وانما اضافت ازمة جديدة سلكت منحى دراماتيكي مع محاولة اغتيال رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي.

• الحرب في اليمن راوحت مكانها وتمحورت حول معركة مأرب المفتوحة والفاصلة.

• انطلقت مفاوضات العودة الى الاتفاق النووي في فيينا بين الاميركيين والاييرانيين بمشاركة الدول الموقعة، لكن هذه المفاوضات التي توقفت لاشهر بعد التغيير الايراني في الرئاسة والحكومة، سقطت في دوامة الشروط والشروط المضادة، وبدا انها مفاوضات مفتوحة على المفاجات وعلى مدى زمني متوسط يقاس بالاشهر وليس بالاسابيع.

• انفتح حوار سعودي - ايراني لكنه ظل حواراً ساخناً وداراً على تقطع وعلى ايحاء الحرب اليمينية التي هي عنوان الحوار وهدفه.

• ارتفعت وتيرة الغارات الاسرائيلية في سوريا، وتحديداً على مواقع واهداف ايرانية، لكن لم تغير شيئاً يذكر على ارض الواقع المهيمن عليه من روسيا والموزع بين ثلاثة لاعبين اقليميين: ايران وتركيا واسرائيل. فهل تتضح صورة المنطقة ويكتمل المشهد في العام 2022؟



الرئيس السوري بشار الأسد.

## ” الشرق الاوسط لم يعد اولوية اميركية وصراع مصالح دولية واقليمية“

بعض مطالبها اذا كان التمسك بها يعني الفشل النهائي للمفاوضات وفتح الابواب امام الاحتمالات الاخرى الكثيرة. لكن هناك من يرى ان الطروحات الايرانية وسيلة اضافية لاشغال المفاوضات واعطاء الانطباع انها متمسكة بالمفاوضات، في ما هدفها الحقيقي اطالة امدها، ما يمكن طهران من الاستفادة من الاسابيع والاشهر المقبلة، من اجل الاستمرار في دفع برنامجها النووي الى الامام.

كان العام 2021 عاما انتقاليا على مستوى منطقة الشرق الاوسط من ضفة الى اخرى، لكن عملية الانتقال لم تكتمل فصولها ولم تتضح معالمها، ومن الممكن ان يحصل ذلك في العام 2022:

ليبيا ومن سوريا الى لبنان. اما الفشل فانه سيفتح الباب امام حروب صغيرة ربما تتطور وتتسع وتكبر وتتحول الى حرب اقليمية. انه السباق المحموم بين التسويات الكبرى والحروب الصغيرة.

التقييم العام لمفاوضات فيينا في بداية العام الجديد ليس موحداً: لا يتوقع الاسرائيليون ان تسفر المفاوضات عن اي تقدم ويعتبرون ان السياسات التي اتبعتها كل الادارات الاميركية المتعاقبة كانت قاصرة عن اجبار ايران على تغيير سلوكها وحساباتها. بغض النظر عن مقدار الاموال التي ستفرج عنها واشنطن او الضغوط القصوى التي فرضت عليها، وان ايران ستواصل اذلال الاميركيين، طالما ان الولايات المتحدة واسرائيل استبعدتا مرارا وتكرارا عدم تعطيل البرنامج النووي الايراني بالقوة، وهو ما قوض خوف النظام من التعرض لهجوم وسمح له بمزيد من المناورة.

اما الاوروبيون، فانهم يرون نافذة مفتوحة وفرصة ما زالت موجودة، وان ايران مستعدة للمساومة، وقد برعت في ذلك، وان رفع السقف يمكن عدّه تكتيكا تفاوضيا، وبالتالي فانها قابلة لتعديل مواقفها والتراجع عن



الرئيس الايراني ابراهيم رئيسي.

ازمة حكومية، والانتخابات الالمانية التي انهدت حقبة انغيلا ميركل.

وعرف بانه عام انطلاق مفاوضات فيينا الهادفة الى احياء الاتفاق النووي الموقع دوليا مع ايران عام 2015. العام الجديد 2022 سيشهد انتخابات مهمة، انتخابات رئاسية في فرنسا وانتخابات نيابية ورئاسية في لبنان، وسيكون حافلا بالاحداث والمفاجات على مستوى الشرق الاوسط، وسط اعادة خلط لاوراق العلاقات والمحاور. لكنه سيكون بشكل خاص عام مفاوضات فيينا التي تتأرجح بين النجاح والفشل، وتتساوى فيها احتمالات الاتفاق واللاتفاق.

سيكون العام 2022 عام المفاوضات بامتياز: المفاوضات الدولية مع ايران حول الاتفاق النووي، والمفاوضات الاقليمية الفرعية والجانبية على خطوط عدة: بين ايران والسعودية، بين تركيا ومصر، بين سوريا والخليج، بين اسرائيل والسلطة الفلسطينية. كل شيء يتوقف على مفاوضات فيينا، وما اذا كانت ستنتج او ستفشل، والفارق كبير بين الحالين: النجاح سيفتح الباب امام الصفقة الكبرى التي ستتفرع عنها تسويات لازمة المنطقة من اليمن الى

## ” اوروبا تعيش صحوة جيوسياسية وتتحو الى استقلالية استراتيجية“

سوريا.

- توسيع دائرة التطبيع بين اسرائيل وجيرانها.

- بلورة سياسة متناسبة مع ادارة الرئيس جو بايدن وتبني اسلوب غير صدامي معها.

- توسيع قاعدة الخبرة في الشؤون الصينية وتحسين ادارة المخاطر مقابلها.

- الحفاظ على الحوار مع موسكو وحرية العمل التي تعطها في سوريا.

عرف العام 2021 بانه عام الانسحاب الاميركي من افغانستان، وعام الانتخابات الاسرائيلية التي اسقطت بنيامين نتنياهو، والانتخابات الايرانية التي جاءت بالرئيس المتشدد ابراهيم رئيسي، والانتخابات السورية التي جددت الرئاسة للرئيس بشار الاسد، والانتخابات العراقية التي انتجت

◀ بلوغ هذه الاهداف، تتابع ايران تطوير برنامجها النووي في انتظار اعادة احياء الاتفاق الذي يحد من هذا البرنامج، ويضمن عدم انتاجها لسلح نووي. لن يمنعها هذا الاتفاق في حال اعادة احيائه، من تدخلها بواسطة التنظيمات التي تمولها وتدريبها في محيطها العربي وفي لبنان، ولن يمنعها من تطوير منظومتها للصواريخ وللطائرات المسيرة الدقيقة. هذا الاتفاق سيكون لمصلحة ايران وحلفائها في المنطقة، وسيريحها ماديا ويطمئنهما امنيا، وسيزيد ذلك من مخاوف الدول العربية، كما سيزيد من مخاطر حرب اقليمية شاملة، لان ايران في منطلق تصادمي مع كل من اسرائيل والعالم العربي.

- السياسة التركية لن تتغير كثيرا في الملفات الحساسة وبرزها:

• ملف شرق المتوسط وحقوق تركيا من الثروات الطبيعية.

• الملف الليبي حيث ان اي مصالحة تركية مع السعودية والامارات، وبالتالي مصر، سيكون لها تداعيات ايجابية حتمية على الملف الليبي والدفع في اتجاه ايجاد حل سياسي.

• الملف السوري الذي سيبقى المعضلة الاصعب امام تركيا في العام الجاري، على خلفية الحدود الطويلة التي تربطها مع سوريا، وما يشوبها من خواصر رخوة تهدد الامني القومي التركي.

- استراتيجية اسرائيل في العام 2022، ستقوم على العناصر والخطوات التالية:

- بذل جهود امنية وسياسية لمنع الحرب واستنفاد البدائل لتحقيق اهداف اسرائيل.

- كبح التعاطف العسكري لحماس وربما توجيه ضربة للذراع العسكري، والاستعداد لاحتمال حرب على جبهات عدة.

- تقوية السلطة الفلسطينية التي تشكل عنوانا شرعيا لتسوية مستقبلية.

- العمل على دمج مصر والاردن والسلطة الفلسطينية في التعاون الاقليمي.

- مواصلة العمل ضد التمركز الايراني في